الباب العاشر

من نفحات الجار وأندائه

الفصلُ الأول : الجارُ بين أقوال المشاهير
وحقائق التاريخ

الفصلُ الثاني : الجارُ في الحِكَمِ والأمثال

الفصل الأول

الجارُ بينَ أقوالِ المشاهير وحقائقِ التاريخ

ـ لعلنا في هذا الفصل نأتي علىٰ بعضِ الأقوالِ الشهيرة ، وبعض الحِكَم الجميلة التي تتحدثُ عن الجارِ إيجاباً وسلباً ، فحصادُ الألسنةِ في هذا المجالِ حصادٌ وفير ، وزادٌ يصلح لغذاء العقول وتلقيح الأذهان .

ـ ولعلَّ موضوعَ الجار يتّصلُ بحبلٍ وثيق في شروط المروءة ، إذ المروءة تقتضي أنْ يرعىٰ الإنسان الجار بكل الأحوال ، وذلك لدنو داره ، واتصال مزاره ، ومعرفة أحواله وأسراره ؛ قال الحسنُ البصري : ليس حسن الجوار كفّ الأذىٰ عن الجار ، بل الصّبر علىٰ الأذىٰ من الجار[1] .

---

(١) تنبيه الغافلين (ص ١٤٣) .

ـ وهذا ما فعله أحد فضلاء العقلاء ، فقد كان يرعىٰ جوار جاره ، بيد أنَّ جاره علىٰ الرغم من تجاورهما لا يلتقيه ولا يكلّمه ، فكتب إليه معلّماً ومنبّهاً : مَثَلُنا ، أعزّك الله ، في قرب تجاورنا ، وبُعْدِ تزاورنا ما قال الأول :

ما أقربَ الدارَ والجوار وما أبعدَ مع قربنا تلاقينا

وكلُّ غفلةٍ منك محتملةٌ ، وكل جفوةٍ مغفورةٌ ، للشّغف والثقة بحسنِ نيتك ، وسآخذ بقول أبي قيس ـ بن الأسلت ـ :

ويكرمها جاراتُها فيزرنها وتعتلُّ عن إتيانهن فتعذرُ[1]

ـ وقال بعضُ الحكماء في الجار : مَنْ أجارَ جاره ، أعانَهُ اللهُ وأجاره .

ـ والإحسانُ إلىٰ الجار يدلُّ علىٰ كرم الأصْلِ والحسب ، قال أحدُ البلغاء : مَنْ أحسنَ إلىٰ جاره ، فقد دلّ علىٰ حسن نجاره[2] .

---

(١) انظر : عيون الأخبار لابن قتيبة (٣/ ٢٥) .
(٢) النجار : الأصل والحسب .

ـ ومنْ نفحات الشُّعراء :

وللجارِ حقٌّ فاحترز من أذاتهِ وما خيرُ جارٍ لا يزلْ لك مؤذيا

ـ إنَّ صاحبَ المروءة يتحمّلُ أثقال الجار ، ويسعفُه في النّوائب ، ولا يَكِلُهُ إلىٰ غيره ، بل يسأل[1] عنه ، ويعطيه ويريه كرم السّخاء والنّدىٰ :

حقٌّ علىٰ السيِّد المرجو نائِلهُ والمستجارُ بهِ في العُرب والعَجَمِ
ألاّ يُنيلَ الأقاصي صوبَ راحتهِ حتىٰ يخصَّ بهِ الأدنىٰ منَ الخدمِ
إنَّ الفراتَ إذا جاشتْ غواربُه روّىٰ السّواحل ثُمَّ امتدَّ في الأمم

ـ وكانَ الخلفاء يحضّون علىٰ تعلُّم مكارم الأخلاق ، وحفظِ جواهر الكلام في حُسْن الجوار ؛ يروىٰ عن عبد الملك بن مروان أنَّه قال لمؤدب ولده : إذا رويتهم شعراً ،

---

(١) من بدائع الأخبار ؛ ما جاء في عيون الأخبار حيث قال ابن قتيبة ـ رحمه الله ـ : كان الرجلُ فيما مضىٰ إذا أراد شَيْنَ جاره أو صاحبه طلبَ حاجته إلىٰ غيره (عيون الأخبار ١/ ٢٩٦) .

فلا تروّهم إلا مثل قول العُمير السلولي :

يبيـنُ الجـارُ حيـن يبيـنُ عنّـي ولـم تـأنـس إليَّ كـلابُ جـاري
وتظعنُ جارتي منْ جنب بيتي ولـم تستـرْ بستـرٍ مـن جـوار
وتـأمـن أنْ أطـالـعَ حيـن آتـي عليهـا وهـي واضعـةُ الخمـار
كـذلـك هـدىٌ آبـائـي قـديمـاً تـوارثـه النجـار علـىٰ النِّجـار

ـ قال أبو الليث السمرقندي ـ رحمه الله ـ : ينبغي للمسلم أن يصبرَ علىٰ أذىٰ الجار ، ولا يؤذي جاره ، ويكون بحالٍ يكونُ جاره آمناً منه ، وأمانُه لجاره يكون بثلاثة أشياء : باليدِ ، وباللسان ، وبالعورة :

فأمّا أمانُه بلسانه : فهو ألاّ يتكلم بكلام لو دخل عليه جاره لسكت ، أو لو بلغ إلىٰ جاره لاستحىٰ منه .

وأمّا أمانه بيده : فهو أنَّ جاره لو كان بالسُّوق ، وتذكّر أنَّ كيسه ـ أي ماله ـ نسيه في منزله ، فإنه لا يخاف عليه ، ويقول : منزله ومنزلي سواء .

وأما أمانه بالعورة : فهو أنه لو كان في السّفر ، فبلغه أنَّ

جاره دخلَ منزله لسكنَ قلبه وفرحَ[1] .

ـ وذكر أنَّ ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال : ثلاثة أخلاق كانت في الجاهلية مستحسنة ، والمسلمون أولىٰ بها :

أولها : لو نزل بهم ضيفٌ لاجتهدوا في برّه .

والثاني : لو كانت لواحد منهم امرأة كبرت عنده ، لا يطلقها ، ويمسكها مخافة أنْ تضيع .

والثالث : إذا لحق بجارهم دَيْن ، أو أصابه شدّة أو جهد ، اجتهدوا حتىٰ يقضوا دينه ، وأخرجوه من تلك الشدّة[1] .

ـ وقال أبو الليث السمرقندي : تمام حُسنِ الجوار في أربعة أشياء :

أولها : أن يواسيه بما عنده .

والثاني : ألا يطمع فيما عنده .

---

(١) تنبيه الغافلين للسمرقندي، تحقيق: يوسف بديوي (ص ١٤٣) .

والثالث : أنْ يمنعَ أذاه عنه .

والرابع : أنْ يصبرَ علىٰ أذاه[1] .

* * *

(١) المصدر السابق نفسه .

الفصل الثاني

الجارُ في الحِكَم والأمثال

ـ وردتْ في الحكمِ والآثارِ والأمثال أقوال كثيرة عن الجار والجوار ، وأثرت عن الجارِ كثيرٌ منَ النّفحات الطيبة عن الأنبياء والحكماء ، فمن ذلك أنَّ نبي اللهِ داود ـ عليه السلام ـ كان يخاف جار السوء ، ويتعوذ منه ، وكان يقول : اللهم إنِّي أعوذُ بك من جار السوء ، عينه ترعاني ، وقلبُه لا ينساني[1]!!..

ـ وذكر ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ أنَّه مكتوبٌ في التوراة : إنَّ أحسدَ الناسِ لعالِم ، وأنعاه عليه قرابته وجيرانه[2] .

---

(١) بهجة المجالس (١/ ٢٨٩) .

(٢) المصدر السابق .

ـ وكان يُقالُ في الأمثال : الحسدُ في الجيران ، والعداوة في الأقارب[1] .

ـ ومما حُفظ مِنْ حكمةِ عمرَ بنِ الخطاب ـ رضوان الله عليه ـ في حقّ الجار قوله : مِنْ حقِّ الجار أنْ تبسط له معروفك وتكفّ عنه أذاك[2] .

ـ إن ترك أذىٰ الجيران من مكارم الأخلاق ، وشيم الكرام ، قالَ عليٌّ للعبّاس ـ رضي الله عنهما ـ : ما بقي منْ كرم أخلاقك؟

قال : الإفضال علىٰ الإخوان ، وترك أذىٰ الجيران[3] .

ـ ومن الكلمات الحلوة التي جرتْ مجرىٰ الأمثال قولهم : جار له حقٌّ ؛ وجارٌ ما له حقٌّ ، وجار صحبته عافية .

---

(١) بهجة المجالس (١/ ٢٨٩) .
(٢) المصدر السابق (١/ ٢٩٢) .
(٣) المصدر السابق نفسه .

ـ وقولهم : جارك مرآك ، إن لم ينظر وجهك ، ينظر قفاك .

ـ وقولهم : جارك القريب ، ولا قريبك البعيد .

ـ وجاء في كتاب جمهرة الأمثال للعسكري قولهم :

جاري بيت بيت ؛ ومعناه : أنَّ بيته إلىٰ جانب بيتي .

ويقولون : هو جاري مكاسري ومطانبي[1] .

ويقولون : جاورْ بحراً أو ملكاً ؛ ومعناه : اطلب الخصب .

ـ وأخذ الشاعر كُشاجم هذا المعنىٰ ، فقال يخاطب ابن مقلة الخطاط الشّهير :

أصبحتُ جارك فاكنفني برأيك مِنْ ... دهرٍ أراهُ لصدري مُرصداً نَبْلَهْ

إنّي لموضعُ أنسٍ حين تفرُغ لي ... وإنْ شُغِلْتَ فكافٍ ترتضي شُغْلَهْ

وقيلَ كنْ جارَ بحرٍ أو فِنا ملك ... وأنتَ جاري وساباطي علىٰ دجْلَهْ

---

(١) جمهرة الأمثال (١/ ٢٦٠) ؛ ومكاسري : أي : كِسْرُ بيتي إلىٰ كِسْر بيته ، ومطانبي : أي طُنب بيتي إلىٰ طُنب بيته .

ولا أسومك إلا الجاهَ تبذله فتستعيضُ به منْ مِدحتي حُلَلْ

ـ وللجار نصيبٌ في كلام علي بن أبي طالب الذي يجري مجرىٰ الأمثال قوله المشهور : الجار قبل الدار ، والرّفيقُ قبل الطريق[1] .

ـ وقد أخذ هذا المعنىٰ بعض الشعراء فقال :

يقولون قَبْلَ الدّار جارٌ مجاورٌ وقَبْلَ الطّريقِ النّهجِ أُنسُ رفيق

ـ وقال آخر ، وقوله يجري مجرىٰ الأمثال أيضاً :

اطلب لنفسك جيراناً تجاورهم لا تصلح الدار حتىٰ يصلح الجار[2]

ـ وهذا أحد الشعراء يصفُ حسنَ جوارِهِ وإحسانهِ إلىٰ جاره ، وكفّ الأذىٰ ، وما يكره عنه ، فيقول :

أقولُ لجاري إذْ أتاني مُعاتباً مـدلاً بحـقٍ أو مـدلاً بباطـلِ
إذا لم يصلْ خيري وأنتَ مجاوري إليـك فمـا شـرّي إليـك بـواصـلِ

---

(١) بهجة المجالس (١/ ٢٩٠) وجمهرة الأمثال (١/ ١٧٩) ، مع الجمع والتصرف .
(٢) المصدران السابقان .

ـ ومن القصص الحلوة التي تجري مجرىٰ الأمثال : أنه ساوَم جارٌ لفيروز بن حُصين في دارٍ له ، فلما قاموا علىٰ الثّمن قال : هذا ثمن الدّار ، فأينَ ثمن جوار فيروز؟

واللهِ لا أبيعه إلا بضعفي ثمن الدّار! فبلغ ذلك فيروز ، فبعث إليه بضعفي ثمنها ، وتركها له .

ـ ومن القصص اللطيفة أيضاً في هذا المجال هذه القصة : قال ابن سلام : مرّ طلحةُ بن عوفٍ أخو عبد الرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ بدار ابنِ أذينة الشّاعر ؛ وهو ينادي عليها ، فقال : إنَّ داراً قعدنا فيها ، وتحدّثنا في ظلّها لمحقوقةٌ أنْ تُمنَعَ منَ البيعِ ، وبعثَ إلىٰ ابنِ أذينةَ بثمنها ، وأغناه عن بيعها[1] .

ـ ومما يُستحلىٰ في هذا المجالِ ويُستجلىٰ ما جرىٰ لأبي الجهم العدوي ، فإنَّه باعَ داره بمئة ألفِ درهم ثم قال : فبكم تشترون جوارَ سعيد بنِ العاص؟!

قالوا : وهلْ يُشترىٰ جوارٌ قطّ!

---

(١) جمهرة الأمثال (١/ ١٧٩) .

قال : ردّوا عليَّ داري ، ثُمَّ خذوا مالكم ، لا أدعُ جوار رجلٍ إنْ قعدتُ سأل عني ، وإن رآني رحّب بي ، وإنْ غبتُ حفظني ، وإنْ شهدتُ قرّبني ، وإنْ سألته قضىٰ حاجتي ، وإنْ لم أسأله بدأني ، وإنْ نابتْني جائحةٌ فرَّجَ عني . فبلغ ذلك سعيداً ، فبعثَ إليه بمئةِ ألف درهم[1] .

ـ ومنَ الأمثال السّائرة عند العرب في جيران السُّوء قولهم :

بعتُ جاري ولم أبِعْ داري .

وقولهم : لا ينفعك مِنْ جارِ سوءٍ توقّ .

وقولهم : هذا أحقُّ منزلٍ بترك .

ـ وكانت العربُ تمتدحُ بالذّبِّ عن الجار ؛ فمن أقوالهم التي جرتْ مجرىٰ الأمثال : فلانٌ منيعُ الجارِ ، حامي الذّمار .

---

(١) انظر : وفيات الأعيان لابن خلّكان (٢/ ٥٣٥) ، وأمثال هذه القصص كثيرة في آدابنا وتراثنا ، ومنثورة في ثنايا المصادر .

ـ وقال مروان بن أبي حفصة يمدحُ معنَ بنَ زائدة ، ويصفُ مفاخرَ بني شيبان ، ومنعهم من استجار بهم :

هُمُ القومُ إنْ قالوا أصابوا وإن دُعُوا ... أجابوا وإنْ أعطوا أطابوا وأجزلوا

هُمُ يمنعون الجار حتىٰ كأنما ... لجارهمُ بين السماكين منزلُ[1]

وبعد ـ عزيزي القارىء ـ فقد كانت رحلتنا معطاءَ ممراحَ مع أنداءِ الجارِ في رحابِ القرآنِ والسُّنة والأدب ، وأرجو الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ أن أكونَ قدْ وفقتُ في رسمِ معالم الجار والجوار فيما يرضي الله عَزَّ وجَلَّ أولاً ، ويعجبُ أحبّائي القرّاء ، حيثُ إنَّ رصيدي هو محبّة القرّاء الكرام الذي يشجعوني علىٰ الاستمرار في الكتابة ، إذْ إنَّني أتلقّىٰ نفحاتُ إعجابهم بأنداءِ قلبي ، فأجعل لها المكانة اللائقة بمحبتهم .

ـ اللَّهُمَّ اجعل عملَنا خالصاً لوجهك الكريم .

﴿ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

* * *

---

(١) انظر : العقد الفريد (٦/ ١٣٥) .